

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أسس التعايش في الإسلام

الأستاذ الطاهر التجكاني

رئيس المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة

منشورات : المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة

الطبعة الأولى: 1437 هـ / 2016 م



المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة

Conseil Européen des Ouléma Marocains

**Conseil Européen des Ouléma Marocains (CEOM)**

**275B, Avenue Louise 1050 Bruxelles**

**Tél : 02 644 44 93 / Fax: 02 644 44 94**

**E-mail : [info.majlis@gmail.com](mailto:info.majlis@gmail.com) Web : [www.ceomeurope.eu](http://www.ceomeurope.eu)**

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

إن موضوع التعايش بين الناس من الموضوعات الكلية الهامة، التي أصلتها الآيات المحكمات، وفصلتها السنة والسيرة، وتطبيقات المسلمين عبر القرون. وإن تراثنا العلمي زاخر - والحمد لله - بمصادر في هذا الشأن؛ ناهيك عن كتابات الغربيين والمستشرقين المنصفين.

والواقع أن الكلام في هذا الموضوع طويل الذيل، متشعب الأنحاء، جليل النفع. وأحق الناس بالاعتناء به - تأصيلاً وتنزيلاً - وأشدهم حاجة إليه - نحن - المسلمين - في بلاد الأقليات. ولا سيما في هذه الأيام العصيبة.. الرهيبة.. التي يشهد فيها العالم تحولا هائلا وسريعا، وتستباح فيها الدماء والأعراض باسم الأديان والمذاهب، والمبادئ والقيم..!!

ولو شئنا التفصيل في مقومات ومرتكزات هذا التعايش لطلال بنا البحث، ولخرجنا عن وكدنا<sup>1</sup> في تقريب العلم وتيسيره

<sup>1</sup> وكدنا: همنا وقصدنا

واختصاره، مراعاة للزمان والمكان. ولذا فإنني سأكتفي في هذه الرسالة - المتواضعة - بعرض أصول هذا التعايش؛ على أمل العودة إلى البيان المفصل في قابل الأيام- إن شاء الله تعالى-.

ويمكن تلخيص هذه الأسس في ستة، وهي:

الإخاء، المساواة، التعارف، الاحترام المتبادل، البر، العدل.

وكلها - في الحق - أسس فطرية، ضرورية، منطقية، لا بد منها لإيجاد أرضية مشتركة للتقارب والتعاون بين الناس -ولا سيما في سياقنا الأوروبي الخاص-.

وسأحاول- بإذن الله - إلقاء الضوء على هذه الأسس، والاستدلال لها تباعاً. فأقول وبالله التوفيق وبه أستعين.

## الأساس الأول: الإخاء

الإخاء: والمراد به -إجمالاً- الشعور بالاشتراك في الإنسانية، والاستواء في أصل الخلقة البشرية.

وبعبارة أخرى: الشعور بالأخوة الإنسانية، التي لا تتعارض إطلاقاً مع الأخوة الإيمانية.

وانطلاقاً من هذا الشعور الإنساني النبيل نجد ديننا الإسلامي-  
الحنيف - يدعونا إلى التعايش مع الناس كافة، في جو من  
الإخاء والسماحة والرحمة والوئام، باعتبار أن الناس جميعاً  
ينتسبون إلى أسرة واحدة، هي الأسرة الإنسانية الكبيرة. فالناس  
مهما اختلفوا في الدين والفكر والمعتقد والجنس واللون واللغة  
والإتماء والولاء؛ فإنهم في نهاية الأمر، ينحدرون من أصل  
واحد، ومن نفس واحدة، هي نفس آدم -أبي البشر- عليه  
الصلاة والسلام. وقد نص القرآن الكريم على هذا الأصل في  
عدة آيات، أبرزها: قوله تعالى في مطلع سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... ﴾<sup>2</sup>

ومن الحقائق الدينية الكبرى: أن الإسلام يسعى من خلال  
مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الأديان  
والثقافات والحضارات، ومع جميع الناس، بغض النظر عن  
انتماءاتهم العرقية والدينية والثقافية... !!

وفي هذا السياق نجد القرآن الكريم يركز على القواسم المشتركة  
بين الناس، أو ما يسمى -بلغة الإعلام- بالمشتركات الإنسانية،

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية 1.

وخاصة بين أهل الأديان السماوية؛ فيؤكد أولاً على أن هذه الأديان تستقي من معين واحد، وتنبع من مصدر واحد، وتخرج من مشكاة واحدة. يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى... ﴾<sup>3</sup>

ويقرر ثانياً أن الأنبياء والمرسلين جميعاً إخوة، لا تفاضل بينهم من حيث الرسالة والإيمان بهم؛ ولذلك أوجب الله على المسلمين أن يؤمنوا بجميع الأنبياء والمرسلين، بدون استثناء. ومن خالف ذلك بطل دينه وحبط عمله. نقرأ في هذا المعنى الآية 136 من سورة البقرة: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>4</sup>، كما نقرأ في نهاية سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرُّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾<sup>5</sup>

<sup>3</sup> سورة الشورى، الآية 13.

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 136.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 285.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أولاد علات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)<sup>6</sup> (أولاد العلات - بفتح العين المهملة وتشديد اللام - هم الإخوة لأب من أمهات شتى).

قال العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف مصداقا لقوله.

أضف إلى هذا أن في القرآن الكريم سورة جليلة تسمى سورة الأنبياء!! وفيه أيضا سورة نوح، وإبراهيم، ويونس، وهود، ويوسف، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.

وفي القرآن أيضا سورة تسمى سورة "آل عمران"؛ تشيد بأسرة مريم البتول، عليها السلام، وأسرة موسى عليه الصلاة والسلام. وفي هذه السورة نقرأ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ

---

<sup>6</sup> صحيح البخاري 489/2، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ سورة مريم، الآية 16، صحيح مسلم ص 1110/1، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ ، كما نقرأ في نفس  
السورة عن مريم البتول على وجه الخصوص قول الله تعالى:  
﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ  
الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨﴾ .

بل إن القرآن الكريم أفرد لمريم البتول سورة خاصة ، تسمى  
سورة مريم، تتحدث عن حياتها الطاهرة، وعن معجزتها  
الباهرة، في أسلوب فريد، يسيل عدوبة ورقّة!!

وهي المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن الكريم؛ بينما لا  
يوجد في القرآن المجيد سورة تسمى سورة خديجة "اسم زوجة  
النبي محمد عليه الصلاة والسلام"، أو سورة فاطمة "اسم بنت  
الرسول محمد عليه الصلاة والسلام". وهذا شيء يستدعي  
التأمل والاعتبار.

ومن جهة أخرى، نجد القرآن الكريم يهتم بأهل الكتاب من أتباع  
موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اهتماما ملفتا، ويعاملهم  
معاملة خاصة؛ فيخاطبهم بأفضل الأساليب، وأجمل الألفاظ،

<sup>7</sup> سورة آل عمران، الآية 33.

<sup>8</sup> سورة آل عمران، الآية 42.



وألطف العبارات. ومن ذلك أنه يناديهم ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ﴾. تكرر هذا النداء في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعا. والنداء بـ ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ﴾ كما هو معلوم يعتبر لقبا شريفاً، يدل على التكريم والاحترام. ويصفهم الله تعالى أيضا في ثلاثين موضعا من القرآن الكريم بلفظ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. وهو لقب تشریف وتكريم أيضا.

## الأساس الثاني: المساواة

المساواة: وهذا الأساس لازم عن الأساس الأول، وهو وحدة الأصل. فإذا كان الناس جميعا ينتسبون إلى أسرة واحدة، وينحدرون من أصل واحد، ومن نفس واحدة؛ فإنهم بطبيعة الحال يصيرون متساوين في القيمة الإنسانية، ومشاركين في أصل الخلقة البشرية، وأنه لا فرق بينهم ولا تمييز، ولا فضل لأحدهم على الآخر من هذا الجانب. فالخالق واحد: هو الله تعالى، والأب واحد: هو آدم عليه السلام.

ويترتب على هذا الأصل الأصيل أن الناس متساوون في الحرية والكرامة، والمثوبة والعقوبة؛ ومن ثمَّ فليس لأحد الحق في

استعباد الناس أو قهرهم، أو التمييز بينهم.. فالناس -كل الناس- متساوون في الكرامة؛ بما وهبهم الله من عقل وعلم، وبما حباهم به من جمال الخلقة وحسن الصورة.. وبتسخيره لما في الأرض والسماوات من الخيرات والثروات لهم جميعاً، وباستخلافهم في الأرض جميعاً. نقرأ في هذا المعنى من قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>9</sup>.

وبهذا الاستخلاف أصبح الناس متساوين في الحقوق والواجبات. أما العقائد والأديان فالناس فيها أحرار في الاختيار، ولا يقبل الله عبادة إجبار. يقرر هذا المبدأ العظيم قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>10</sup>، أي: أن الناس لهم الحرية الكاملة والإرادة التامة في أن يختاروا لأنفسهم ما يشاؤون من عقائد وأديان. وأن اختلافهم في العقيدة والدين سنة كونية إلهية، واقعة بمشيئة الله. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ

<sup>9</sup> سورة فاطر، الآية 39.

<sup>10</sup> سورة البقرة، الآية 256.

رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...<sup>11</sup> . ويبقى الحساب يوم القيامة بيد الله وحده، والله وحده.

وفي صحيح مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق يا ذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"<sup>12</sup> .

## الأساس الثالث: التعارف

التعارف: وهذا الأساس أيضا لازم عن الأساس الأول والثاني. فإذا كان الناس جميعا ينتسبون إلى أسرة واحدة، ومتساوين في القيمة الإنسانية؛ فلا بد من تعارف بينهم. والإنسان كما قيل: "مدني بطبعه"، أو "اجتماعي بطبعه". ومن هنا نجد القرآن الكريم يدعو الناس كافة إلى التعارف والتلاقي على أعلى

<sup>11</sup> سورة هود، الآيتان 118-119.

<sup>12</sup> صحيح مسلم 350/1، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيام.

المستويات. نقرأ ذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>13</sup> ، "والتعارف في اللغة العربية يقابل التناكر، فالتناكر يؤدي إلى التخالف والاختلاف، والتعارف يؤدي إلى التالف والائتلاف، والتالف يؤدي إلى التآخي، والتآخي يؤدي إلى التعاون على الفعل الحضاري الموصوف في القرآن الكريم بالبرِّ والتقوى في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾<sup>14</sup> .

وفي دعوة القرآن إلى التعارف إشارة جلية إلى ضرورة الاعتراف بالاختلاف، اختلاف الثقافات والحضارات والقيم.. علما بأن الإسلام لا يقف في وجه التعايش بين المسلمين وقيم المجتمعات الأخرى- كما سبقت الإشارة- فهناك قيم مشتركة بين الناس جميعا، والواجب على المسلمين- وخصوصا في بلاد الأقليات- أن

<sup>13</sup> سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>14</sup> سورة المائدة، الآية 2.

يركزوا على القيم المشتركة، والقواسم المشتركة، وهي كثيرة جدا، وأبرزها وأهمها: احترام حقوق الإنسان.

## الأساس الرابع: الاحترام المتبادل

الاحترام المتبادل: فإذا تم التعارف بين الناس، وأقيم جسر التواصل بينهم؛ فلا بد من احترام بعضهم بعضا. وبقدر ما يدعو القرآن الكريم إلى التعارف والتآلف والتآخي والتعاون؛ يدعو إلى احترام الإنسان وصون كرامته وحماية حقوقه، من حيث هو إنسان، بغض النظر عن دينه وعقيدته وفكره وجنسه ووطنه ولونه ولغته وولائه وانتمائه. يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>15</sup>.

فهذه الآية صريحة في أن الله تعالى لم يختص بتكريمه أناسا دون آخرين؛ بل عمم التكريم ليشمل الناس جميعا بدون استثناء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. وإن أعظم تأويل لهذه الآية ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما مرت به جنازة يهودي فقام واقفا فقبل له إنها جنازة يهودي يارسول الله فقال

<sup>15</sup> سورة الإسراء، الآية 70.

مستغربا ومستنكرا أليست نفساً؟<sup>16</sup> يعني - والله أعلم -  
أليست نفسا خلقها الله، إنه احترام لإنسانية الإنسان من حيث  
هو إنسان بغض النظر عن شيء آخر.

ومن ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -  
لمالك الأشتر حينما أرسله إلى مصر: "ولا تكونن عليهم سبعا  
ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير  
لك في الخلق"<sup>17</sup>.

ويبقى ميزان التفاضل بين الناس قائما على أساس ما يتصف به  
الواحد من صدق وأمانة وإخلاص في عبادته لله، وما يقدمه  
من خدمات لخلق الله. سئل النبي محمد عليه الصلاة والسلام:  
ف قيل له أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: أحب الناس إلى الله  
أنفعهم للناس"<sup>18</sup>.

---

<sup>16</sup> صحيح البخاري 404/1، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، صحيح مسلم 426/1، كتاب الجنائز، بابا القيام  
للجنازة.

<sup>17</sup> نهج البلاغة بشرح محمد عبده ص 518/4.

<sup>18</sup> المعجم الأوسط للطبراني 139/6، والمعجم الكبير 453/12، تاريخ دمشق لابن عساکر 17/64، وقضاء الحوائج لابن  
أي الدنيا، 40/2 عن عبد الله بن عمر، وحسن طريق ابن أي الدنيا الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة  
575-574/2.

وأما آية الحجرات: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>20</sup> ، فإنها- كما يقول العلماء - لا تنفي الكرامة الآدمية الذاتية المشتركة بين البشر؛ بل تشير إلى درجة أخرى في التكريم والكمال "عبر عنها بالتقوى" ، ولا تشير- بكل حال - إلى أي تمييز في الحقوق المادية والاجتماعية. وهذا هو المهم والمطلوب في العيش المشترك، وهذا هو بيت القصيد هنا.

## الأساس الخامس: البر

البر: وهذا الأساس لازم عن الأساس الرابع، وهو: الاحترام المتبادل. فإذا احترم الناس بعضهم بعضاً لزم من ذلك أن يعامل بعضهم بعضاً بالبر والإحسان، والعطف والحنان. كما أمر الله المسلمين في القرآن، ﴿ لَا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>21</sup> .

<sup>19</sup> المعجم الأوسط للطبراني 139/6، والمعجم الكبير 453/12، تاريخ دمشق لابن عساکر 17/64، وقضاء الخوائج لابن أبي الدنيا، 40/2 عن عبد الله بن عمر، وحسن طريق ابن أبي الدنيا الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 574/2-575.

<sup>20</sup> سورة الحجرات، الآية 13.

<sup>21</sup> سورة الممتحنة، الآية 8.

والبر هو غاية الإحسان. ولا يكون في غالب الأحوال إلا لأحب الناس إليك، وهما الوالدان. وكأن الله تعالى يأمر المسلمين في هذه الآية أن يعاملوا غيرهم ممن لا يدين بدينهم من المسلمين لهم معاملة الوالدين. ويبقى "القسط" الذي هو العدل واجبا مع كل الناس، ولو كانوا أعداء لك، يحاربونك ويغضونك ويظلمونك. نقرأ هذا المعنى الرائع العجيب في الآية الثامنة من سورة المائدة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>22</sup>.

يقول الإمام الفقيه شهاب الدين القرافي المالكي رحمه الله وهو يشرح كلمة "البر" الواردة في آية الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾<sup>23</sup>، "وأما ما أمر به من برهم... فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم - على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة - واحتمال إذائهم في الجوار - مع

<sup>22</sup> سورة المائدة، الآية 8.

<sup>23</sup> سورة الممتحنة، الآية 8.



القدرة على إزالته - لطفًا منا بهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يُجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم، في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم، إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعبائهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانون على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم... ثم يعقب على هذا بقوله فإن ذلك من مكارم الأخلاق الخ" <sup>24</sup>.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه» في كتاب المرضى: (باب: عيادة المشرك) <sup>25</sup>، وأورد أحاديث في هذا المعنى.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوصية بالجار، وحسن معاملته، روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مَا زَالَ جَبْريلُ يُوصيني بِالجارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ) <sup>26</sup>.

<sup>24</sup> الفروق لشهاب الدين القرافي 15/3

<sup>25</sup> صحيح البخاري 26/4، كتاب المرضى، باب عيادة المشرك.

<sup>26</sup> صحيح البخاري 94/4، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، صحيح مسلم 1214/2، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه.

والأمر في ذلك عام. لا يختص بالجار المسلم وحده.

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: «وَأَسْمُ الْجَارِ يَشْمَلُ الْمُسْلِمَ وَالْكَافِرَ، وَالْعَابِدَ وَالْفَاسِقَ، وَالصَّديقَ وَالْعَدُوَّ، وَالْغَرِيبَ وَالْبَلَدِيَّ، وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ، وَالْقَرِيبَ وَالْأَجْنَبِيَّ، وَالْأَقْرَبَ دَارًا وَالْأَبْعَدَ، وَلَهُ مَرَاتِبٌ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ، فَأَعْلَاهَا مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْأُولَى كُلُّهَا ثُمَّ أَكْثَرُهَا وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْوَاحِدِ، وَعَكْسُهُ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْأُخْرَى كَذَلِكَ، فَيُعْطَى كُلُّ حَقِّهِ بِحَسَبِ حَالِهِ، وَقَدْ تَتَعَارَضُ صِفَتَانِ فَأَكْثَرُ فَيُرْجَحُ أَوْ يُسَاوِي، وَقَدْ حَمَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو - أَحَدٌ مِنْ رَوَى الْحَدِيثِ - عَلَى الْعُمُومِ، فَأَمَرَ لَمَّا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ أَنْ يَهْدِيَ مِنْهَا لَجَارِهِ الْيَهُودِيَّ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي "الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ"<sup>27</sup>، وَالتِّرْمِذِيُّ<sup>28</sup> وَحَسَنَهُ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي حَدِيثِ مَرْفُوعٍ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ<sup>29</sup> مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَفَعَهُ: (الْجِرَانُ ثَلَاثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ وَهُوَ الْمَشْرِكُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانٍ وَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ، وَجَارٌ لَهُ

<sup>27</sup> الأدب المفرد للبخاري ص 55.

<sup>28</sup> سنن الترمذي 496/3.

<sup>29</sup> مسند الشاميين للطبراني 356/3.

ثلاثة حُقوق: مُسلم له رَحِم، لَهُ حَقُّ الجِوَار والإِسلام  
والرَّحِم) " <sup>30</sup>.

## الأساس السادس والأخير: العدل

العدل: وهو من أعظم الأسس التي جاءت بها جميع الأديان السماوية والشرائع الإلهية، وبه قامت السموات والأرض. ولا صلاح للإنسانية بدون عدل يجري بينهم. ولا سلام ولا وئام ولا استقرار بدون إقامة العدل بين الناس.

والعدل، كما قال ابن عاشور في التحرير: "مساواة بين الناس أو بين أفراد أمة في تعيين الأشياء لمستحقها، وفي تمكين كل ذي حق من حقه، بدون تأخير، فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي أربابها" <sup>31</sup>.

أما حقيقته عند الحقوقيين فهو: الإنصاف والاستقامة على الحق بإعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه، بدون زيادة ولا نقصان.

<sup>30</sup> فتح الباري 456/10.

<sup>31</sup> التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور 162/4.

أما العدل الذي ينادي به القرآن فهو العدل الرباني المتفرد المتجرد، الذي لا يتأثر بالمحبة والبغض، والعطاء والمنع، والغضب والرضا.. وهلم جرا من المؤثرات. العدل الشامل لكل الناس. العدل الذي يمنع البغي والظلم، والمحسوبية والزبونية، والمحاباة والتدليس.. ويعطي كل ذي حق حقه (من المسلمين وغير المسلمين، والمؤلفين والمخالفين) دون تمييز. العدل الذي يتساوى فيه المسلم وغير المسلم، ويتساوى فيه الأقارب والأباعد، والأصدقاء والأعداء، والأغنياء والفقراء.... في تجرد كامل من كل عاطفة أو هوى، أو مصلحة عامة أو خاصة.

ولأهمية العدل في الإسلام ذكر لفظه في القرآن الكريم 28 مرة. وذكر رديفه "القسط" 25 مرة. وأمر الله به أمرا واضحا في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾<sup>32</sup>.

ويكفينا أن الله تعالى سمي نفسه "عدلا" ليؤذن بذلك أنه جل جلاله مصدر العدل. وأن العدل صفة من صفاته الحسنی.

<sup>32</sup> سورة النساء، الآية 58.

وخاطب الله عباده جميعا (في الحديث القدسي الجليل) فقال: "يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا"<sup>33</sup>.

## خاتمة و خلاصة

وبعد؛ فإن البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى نبذ أنانيتها وطمعها، وكسر غرورها وتعصبها، لتصغي من جديد إلى صوت العقل والوحي، والعلم والحكمة... من أجل رأب الصدع، وتضميد الجراح، ومد الجسور، وترسيخ علاقة التعايش السلم والحوار الحضاري.. بناء على هذه الأسس والمرتكزات (الستة)، التي لا يمكن أن يختلف فيها اثنان، أو ينتطح عليها عنزان، كما قال المثل. وهي كافية شافية..-على مستوى التنظير- إن شاء الله - إذا قويت الإرادة، وصح العزم، وصدقت النيات.. وبذلك تتحقق عمارة الأرض بالشكل الإيجابي المطلوب، ويعيش الناس على ظهرها سالمين آمنين، يساعدهم على ذلك كله هذه الثورة التكنولوجية الهائلة (ثورة المعلومات، والاتصالات)، التي أزالَت الحواجز الزمانية والمكانية بين القارات والأقطار والمدائن

<sup>33</sup> صحيح مسلم 1198/2، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

والقرى..، وحققت ما كان مستحيلًا بالأمس القريب؛ حتى أصبحنا -بحق- نعيش في قرية واحدة صغيرة، إن لم نُقل في غرفة واحدة! .

لذا فإن المطلوب اليوم من الجميع، - وخاصة أهل الأديان السماوية - : تشجيع ثقافة الحوار والتفاهم؛ لبث روح التعايش والتسامح والتعاون، والتقريب والتسديد، والتبادل الحضاري والثقافي؛ فإن لكل حضارة عطاء، ولكل ثقافة مميزات، والحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

وفي الختام: أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء، وأسأله أن يسدد خطانا، ويوفقنا لما فيه خدمة الصالح العام، ويمن على البشرية جمعاء بإحلال السلم العالمي، ويجعل لنا - نحن المسلمين - في هذه البلاد النصيب الأوفر والحظ الأوفى من الرحمة والسماحة والبر والعدل، عملاً بما نقول، واقتداء بالرحمة المهداة والنعمة المسداة، سيدنا ونبينا وقرّة أعيننا محمد صلى الله عليه وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين. والله من وراء القصد، والسلام.

## المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد ناصر الدين البخاري، طبعة دار الصديق، الطبعة الثانية، 2000م.
3. أنوار البروق في أنواء الفروق، لشهاب الدين القرافي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.
4. تاريخ دمشق لأبي القاسم ابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، طبعة دار الفكر، بيروت 1995م.
5. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.
6. سلسلة الأحاديث الصحيحة لناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر- والتوزيع، 1995م.
7. سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1996م.
8. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400 هـ،
9. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، طبعة طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2006م.
10. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى 2001م.
11. قضاء الحوائج لأبي بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1993م.

12. المعجم الأوسط للحافظ أبي القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة، 1995م.
13. معجم الشاميين لأبي القاسم الطبراني، حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.
14. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م.
15. نهج البلاغة بشرح الإمام محمد عبده، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، طبعة مكتبة الأندلس، بيروت، 1954م.